مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الأُولَى

(المهدي حقيقة لا خرافة)

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، شهادةً أتخلص بها من عذاب يوم الدين، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩]، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤١) إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (٤٢)﴾ [الدخان: ٤١-٤٢]. ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا (٢٩)﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩].

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي بلَّغ البلاغ المبين، وبيَّن للناس ما نُزِّل إليهم، ولعلهم يتفكرون، وترك أمته على محجةٍ بيضاءَ نقيةٍ، ليلُها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك مفتون، صلى الله وسلم وبارك عليه وَعَلَى آلِهِ وصحبه وحزبه، الذين قضَوْا بالحق، وبه كانوا يعدلون.

أما بعد: فإلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - وحده المشتكى من غربة الإسلام، واشتعال نار المُلِمَّاتِ، وعموم الفتن والبليات، وتواتر النوازل والآفات، في كل قطر من أقطار الأرض، وظهور البدع والمنكرات، وغلبة الشهوات والشبهات، واستحلال المحرمات.

لقد عاد الحليم في هذا الزمان حيرانَ، يقلب وجهه في السماء باحثًا عن نجم يضيء له الطريق، ويُعيِّنُ له الهدف، ويُحدِّد له الاتجاه، وقد تلبَّد الجو بغيوم الأوهام، التي أمطرت وابلها على الأرض المجدبة، فأنبتت لفيفًا من الأقوام المتصارعةِ آراؤُهم، المتدابرة قلوبُهم، وقد جعل الله بأسَهم بينهم.

لقد أرخى الليلُ سُدولَه بأنواع المصائب والفتن؛ ليميز الله الخبيث من الطيب، ونبغ في هذا الزمان أقوام أعرضوا عن المحجة البيضاء، وزاغوا عنها فهلكوا مع الهالكين، وراحوا يخوضون مع الخائضين، «فمنذ مطلع هذا القرن، أو قبله، وُجدت فئة تدعو إلى ما يسمى بـ«التحرر الفكريّ»، وتتصدر ما يُسَمَّى بـ«حركة الإصلاح الديني»[١]،

(١) ينبغي التَّحَفُّظ من مثل هذه الإطلاقات؛ لما قد تنطوي عليه من أفكار خبيثة؛ فالدين كما عرفه العلماء «وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة لما فيه صلاح دنياهم، وسعادة آخرتهم»، وهذا التعريف مأخوذ من قوله ـ تعالَى ـ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾، وحيث كان الأمر كذلك، فلا يمكن لبشر أن يتناول الدين بإصلاح أو تهذيب؛ لأن ما وضّحه الله وأكمله لا يُتصور أن يُتناول بإصلاح، إلا أن يُقْصَدَ بذلك الإصلاح تجديدُ الدين بإحياء السنن والشرائع، وإماتة البدع والحوادث، والاجتهاد الصادر من أهله المحصلين شروطَه، والله ـ تعالَى ـ أعلم.
يقول الشيخ علي بن بخيت الزهراني في كتابه «الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين»: ما مختصره:
«إن كلمة الإصلاح كلمة مَطَّاطَةٌ اسْتُخْدِمَتْ بكثرة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين من قِبَلِ فئات كثيرة؛ لذا كان لا بُدَّ من تحديد معالم هذا الإصلاح، ولا يكفي أن تكون الغاية هي الإصلاح؛ بمعنى أن كل من نادى بإصلاح الأوضاع يكون مصلحًا؛ فكل فئة، وكل أصحاب فكر وعقيدة ـ يدَّعون الإصلاح، حتى المنافقون: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾، [البقرة: ١١، ١٢].
والتغريبيون؛ من أمثال السلطان «محمود الثاني»، و«محمد علي باشا»، هَدَفُوا من إجراء سياساتهم وتنظيماتهم إلى الإصلاح، ولكن أي إصلاح؟ إصلاح على الطريقة الغربية يرمي في غايته إلى استبدال القوانين الغربية بالشريعة الإسلامية.
و«جمال الدين الأفغاني» و«محمد عبده» هدفا إلى الإصلاح، واعْتُبِرَا مُصْلِحَيْنِ عظيمَيْنِ، ولكنه إصلاح على حساب المعتقدات الدينية، ولصالح الاستعمار والغرب.
والقوميون العرب، من نصارى وغيرهم، كانوا يسعون إلى الإصلاح حسب منهجهم، وقاوموا الترك، وحاربوهم لأجل ذلك.
فلا بد من تحديد مفهوم الإصلاح الذي هدفت إليه جميع الحركات الإصلاحية، واعتبرته غاية لها.
فالإصلاح مصطلح قرآني؛ قال ـ تعالَى ـ على لسان نبيه شعيب ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾، [هود: ٨٨]، ومعناه: الإصلاح العام للحياة والمجتمع الذي يعود صلاحه بالخير على كل فرد وكل جماعة فيه، وهو إصلاح على منهج الأنبياء، يُعْرَفُ أن نجاحه متوقف على توفيق الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، والتوكل عليه، وفوق ذلك الرجوع إلى الله عند السير في خطواته، والعمل من أجل تحقيقه. =

وتعمل لإحياء المفاهيم الإسلامية في نفوس المسلمين، ولكنهم في سبيل ذلك عمدوا إلى إنكار كثير من الْمُغَيَّبات التي وردت بها النصوص الصريحة المتواترة، الأمر الذي يجعل ثبوتها ليس محل جدال أو ريبة، ولا سند لهم في هذا الإنكار سوى الجموح الفكري، والغرور العقلي، وقد راجت بتأثيرهم تلك النزعة الفلسفية الاعتزالية التي تقوم على تحكيم العقل في أخبار الكتاب والسنة، وعمَّت فتنتُها حتى تأثر بها بعضُ الأغرار ممن تستهويهم زخارف القول، وتغرهم لوامع الأسماء والألقاب والمناصب، وَمِن هنا لزم أن يُوضَعَ الحقُّ في نِصابه؛ تنبيهًا لأولئك الشاردين عن منهج الرشد أنَّ تلك الأمور التي يمارون فيها ثابتة ثبوتًا قطعيًّا، بأدلةٍ لا تقبل الجدل ولا المكابرة، وأنَّ من يحاولُ ردَّها، أو يُسوِّغ الطعن فيها، فهو مُخاطر بدينه، وهو ـ في الوقت نفسه ـ قد فتح بابًا للطعن فيما هو أقلُّ منها ثبوتًا من قضايا الدين الأخرى، وبذلك نكون أمام مَوْجَةٍ من الإنكار والتكذيب لا أول لها ولا آخر، وتصبح قضايا العقيدة كلها عرضة لتلاعب الأهواء وتنازع الآراء»(١).

وهذه محاولة لبيان صحة الاعتقاد في ظهور المهدي المنتظر، الذي أخبر بظهوره نبيُّ الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ـ، نقدمُها لتكون تبصرة لإخواننا، ومعذرة إلى الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

= فلا بد إذن أن يكون الإصلاح على منهج الأنبياء، وبالتحديد على منهج الرسول ﷺ، الذي قام بأعظم إصلاح عَرَفَتْهُ البشرية في تاريخها الطويل، وجنى ثماره المسلمون ردحًا من الزمن تقدمًا وقوة وحضارة، وما واجب أي حركة إصلاحية، أو مصلح ديني إلا الرجوع إلى ذلك الإصلاح العظيم، ومحاولة إحيائه من جديد..

ومن هنا نقول إن الإصلاح: ما استهدف الرجوع بالأمة إلى ما كان عليه الرسول ﷺ والقرون المفضلة، في العقيدة، والعبادة، والسلوك، والمعاملة بالوسائل المشروعة، وباختصار شديد ما كان على المنهج السلفي، وأي عدول عن ذلك المنهج فلا يؤدي إلى إصلاح حقيقي يرضي الله ـ عزّ وجلّ ـ، وتتحقق من خلاله مصالح البلاد والعباد». اهـ. (١/٢٧٣ ـ ٢٧٤).

(١) انظر: «فصل المقال في رفع عيسى ـ عليه السلام ـ حيًّا، وفي نزوله وقتله الدَّجال»، للدكتور محمد خليل هرَّاس ـ رحمه الله ـ، ص(٣-٤).

أسأل الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أن ينفع بها حِزب الحق والإِيمان، وأن يقمع بها أهل الزيغ والبهتان، إنه كريم منَّان، وقد قدَّمتُ بين يديها هذه التنبيهات؛ لمسيس الحاجة إليها في دين المسلم عامة، وفيما نحن بصدده خاصة، والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

الإسكندرية في الاثنين

الواحد والعشرين من شهر الله المحرم ١٤٠٠هـ

الموافق العاشر من ديسمبر ١٩٧٩م